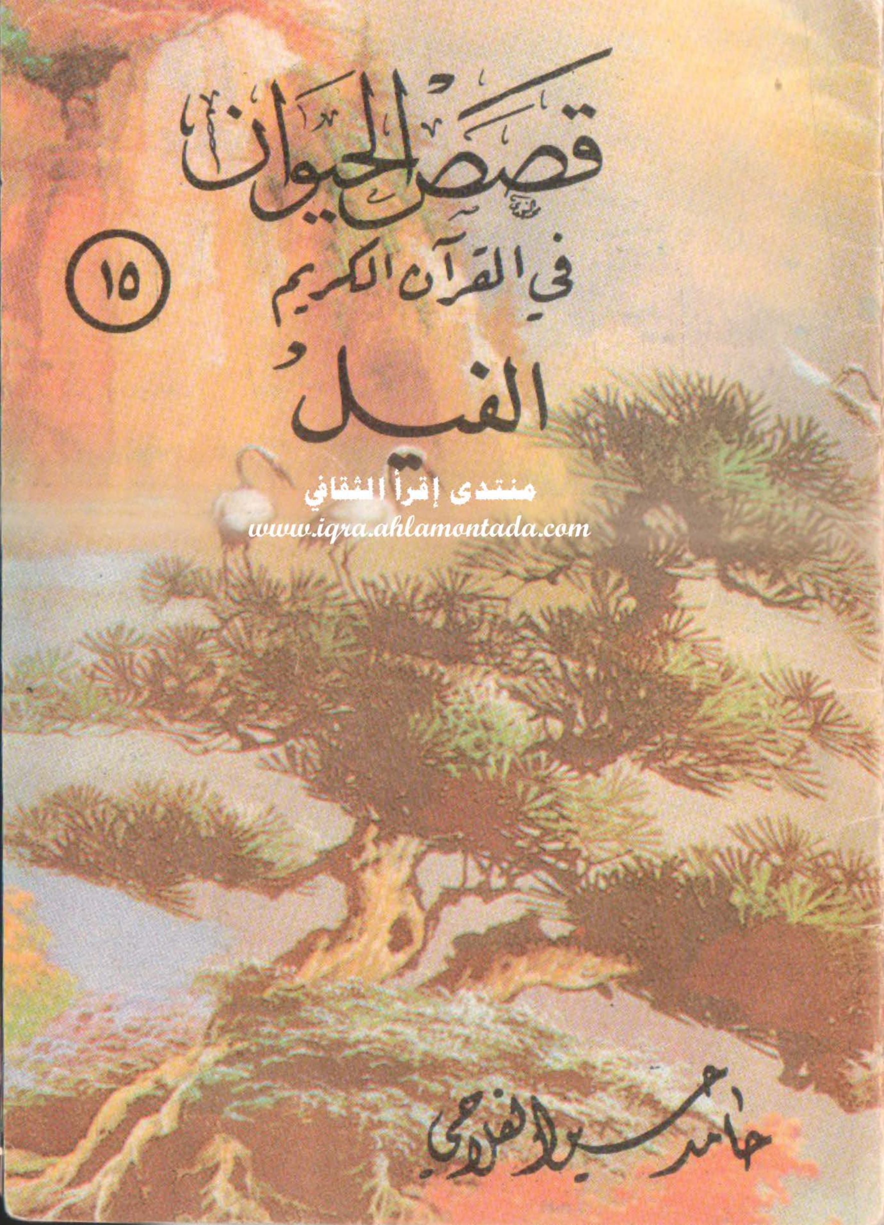


قصص الحيوان
في القرآن الكريم
١٥
الفيل
حامد عبد الفتاح

قصص الحيوان في القرآن الكريم



حامد حسين الفلاحي

* * * * * * * * * * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الفيـل مع جيش إبرَهَة

غَزا الأحباشُ اليمنَ قبلَ الاسلامِ واستولوا عليها ، وأقامَ ملكُ الحبشةِ أحدَ قوادِهِ واسمُهُ (أرياط) ملكاً عليها ، ثمَّ حدثَ أن نازع أرياط في حكمِ اليمن قائدٌ حَبَشِيٌّ آخرُ اسمُهُ (إبرَهَة) ، وآلَ الخلافُ بين أرياط وابرهة الى القتال :

وعندما التقا الجيشانِ أرسلَ إبرهةُ إلى أرياط يقولُ له : - إبرز إليَّ ، وأبرزُ إليك، فأيُّنا قتلَ صاحَبهُ أصبحَ ملكاً على اليمنِ .

وأجابَهُ أرياط : - أنصَفتَ[1].

وخرجَ أرياط من بينِ الصفوفِ يحملُ بيدهِ حَربَةً، وخرجَ إبرَهة، وخلفَهُ غلامٌ يمنعُ ظهرهُ[2].

وتقاتلَ الرجلان ! وحملَ أرياط على إبرهة فضربَهُ بالحربةِ على

---

(١) أنصَفتَ : عدلت ،قلتَ الحقَّ .

(٢) يمنع ظهره : يحميه .

وجهه فشَقَّ حاجبَهُ وأنفَهُ وشَفَتَيه، فسُمِّيَ بعدها (إبرهة الأشرم)!.
وحملَ غلامُ إبراهة على أرياط فقتَلَهُ .

وأصبحَ إبرهةُ ملكاً على اليمنِ، وسَمعَ النجاشيُّ ملكُ الحَبشة بمقتَلِ قائدِهِ أرياط فأقسَمَ أن يطأ[٣] أرضَ اليمنِ ويجزَّ ناصيةَ إبرهة[٤]!

ولَمّا سمعَ إبراهةُ بما عزمَ عليه النجاشيُّ[٥] حلقَ رأسَهُ وملأ جِراباً[٦] من ترابِ اليمنِ، ثمَّ بعثَ بشعرِ رأسهِ مع الجرابِ الى النجاشيَ وكتبَ إليهِ هذه الرسالةَ :

(أيها الملكُ: إنّما كانَ أرياطُ عبدكَ، وأنا عبدكَ، فاختلفنا في أمركَ، وكلُّ طاعتُهُ لك، إلاّ أني كنتُ أقوى وأسوسَ منه[٧]، وقد حَلَقت رأسي كُلَّهُ حينَ بَلغَني قَسَمُ الملكِ، وبَعَثتُ إليك بجرابٍ من

---

(٣) يَطأ الأرض: يضع قدمه فوقها .
(٤) جَزّ: قطع، الناصيَة : مقدمة شعر الرأس .
(٥) النجاشيّ : لقب ملك الحبشة، كما أن لقب ملك الروم (قيصر) ، ولقب ملك الفرس (كسرى) .
(٦) الجراب : وعاء من جلد .
(٧) أسوس منه : اكثر خبرة في تصريف أمور الدولة .

ترابِ أرضي ليَضَعَهُ الملكُ تحتَ قدَمَيهِ فيَبَرَّ قَسَمَهُ فِيَّ)[٨]. وأعجبَ النجاشيُّ بدهاءِ إبرهة فعَفا عنه .

ثمَّ إنَّ إباهَةَ بنى في مدينة صَنعاءَ كَنيسَةً سَمّاها (القُلَّيسُ) ، وسَخَّرَ عربَ اليمنِ يَنقلونَ لها الحجارَةَ، وجلبَ لها أمهرَ البنّائينَ، فكانت سُقوفُها مُطَرَّزَةً بالزخارفِ الجميلةِ، وجدرانُها مُطعَّمَةً بالرُّخامِ، وأعمدتُها مَكسُوَّةً بالذهب، وارتفعَ بناءُ القُلَّيسِ فما رأى الناسُ يومَها بناءً أعلى ولاأجملَ منه !! .

وقد أرادَ إبرهةُ بذلك أن يصرفَ حجَّ العربِ عن مكة، وكانت قَبائلُ العَربِ تَحجُّ الى مكةَ، بيتِ أبيهم (إبراهيم) عليهِ السَّلامُ، الذي أمرَهُ اللّهُ سُبحانَهُ وتَعالى ببنائه، ليكونَ مثابَةً للناسِ وأمناً[٩] ورَفعَ ابراهيمُ وابنُهُ (اسماعيلُ) قواعدَ البيتِ الحرامِ[١٠]، حتى إذا أتمّا بناءَهُ أمَرَ اللّه سبحانَهُ وتعالى نَبيَّهُ (ابراهيم) أن يُؤذِّنَ في الناسِ بالحَجِّ الى هذا البيتِ، قال تعالى :

---

(٨) برَّ قسمه : وفى به وأنجزه .

(٩) أمناً: مأمناً من الظلم والخوف، حتى أن الرجل كان يلقى قاتل أبيه في مكة فلا يمسّه بسوء !

(١٠) قواعد البيت : أسسه وجدرانه .

(وأذّن في الناسِ بالحَجِّ يَأتوكَ رجالاً وعلى كلِّ ضـامرٍ يأتينَ من كلِّ فـَجٍّ عَميقٍ)[11].

وسَمِعَ العـربُ بما عـزمَ عليـه إبرهةُ فَغـضِبـوا، ذلك أنَّ لمكّةَ في نُفوسِهِم مكانةً عظيـمـةً، فإليـهـا يحـجّونَ كلَّ عـامٍ، يَنحرونَ الذبائحَ، ويُقيمونَ الأسواقَ، ويُلقي الشعراءُ قَصائِدَهُم .

ودخَلَإاعـرابيٌّ الى (القُلّيسِ) فـأحدَثَ فـيـهـا[12]، وأخـبـرَ إبرَهَةَ بذلك، فقالَ غاضباً: مَن فعَلَ هذا ؟

قالوا : رَجُلٌ من العرب .

قالَ : ولماذا فعلَ هذ ؟

قـالوا : لقَد غـضِبَ العـربُ حينَ عَلِمـوا أنكَ سَتَصـرِفُ حَجَّهُم عن الكعبةِ الى القُلّيسِ !

غَضِبَ إبرهةُ لما لحِقَ بكنيستهِ، فـجهَّزَ جَيشـاً كـبيـراً، واصطحَبَ معه فِيَلَةً كثيرةً، يتقدمُها فيلٌ عظيمٌ ذو شُهرَةٍ، وبهِ سُمّيَ جيشُ إبرهَة

---

(١١) سورة الحج الآية ٢٧، رجلاً: مشاة، مفردها: راجل، وعلى كل ضامر: ركباناً على الجمال . الفج : الطريق بين جبلين . عميق : بعيد .

(١٢) أحدث فيها : قضى فيها حاجته .

بـ(أصحابِ الفيلِ)، قالَ تعالى: (ألم تَرَ كَيفَ فَعَلَ رَبُّكَ بأصحابِ الفيلِ)[١٣].

وسَمِعَتِ العَربُ بأنَّ إبرهةَ خرجَ بجيشِهِ لِهَدمِ الكعبةِ، فخرجَ رجلٌ من أهلِ اليَمنِ اسمُهُ (ذو نفَر) في جيشٍ صَغيرٍ، ولكنَّ إبرهَةَ هَزَمَهُ، وأسرَ (ذو نفر) وأرادَ إبرهَةُ قَتلَهُ فقالَ له (ذو نفر) :

- أيها الملكُ: لاتَقتُلني، فعَسى أن يكونَ بَقائي مَعَكَ خَيرٌ لكَ من قتلي . فَحَبَسَهُ ولم يَقتُلهُ .

ثمَّ خرجَ له (نُفَيلُ بن حَبيبٍ) مع بعضِ قَبائِلِ العَربِ فهزَمَهُ إبرهَةُ وأخذَهُ أسيراً . ومضى إبرهةُ بجيشهِ يريدُ مكّةَ حتى إذا مرَّ بـ(الطائفِ) خرجَ إليهِ سادَتُها وقالوا له :

- أيها الملك، انتَ تُريدُ مكّةَ، ونحن نبعَثُ معكَ من يُدلّكَ عليها. وبَعَثوا معَهُ (أبا رُغالٍ) ليكونَ دَليلَهُ، وقبلَ أن يَصِلَ الجَيشُ الى مكةَ مات (أبو رُغالٍ)، فكانت العربُ تَرجُمُ قبرَهُ !

ثمَّ نزَلَ إبرهَةُ وجيشُهُ قريباً من مكةَ، وبعثَ أحَد قُوّادهِ حتى دخلَ

---

(١٣) سورة الفيل الآية - ١ .

مكةَ، وساقَ عيراً لِقُريشٍ فيها مائتا بعيرٍ لِعَبدِ المطلبِ جدِّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وهو يومَئذٍ كبيرُ قريشٍ وسَيِّدُها .

ثمَّ بعثَ إبرهَةُ رسولاً إلى مكَّةَ وقالَ لَهُ :

- سَل عن سَيِّدِ أهلِ هذا البلدِ وشَريفِها ثمَّ قُل لَهُ: إنَّ الملكَ يَقولُ لكَ: إني لَم آتِ لحربِكُم، إنما جِئتُ لِهَدمِ هذا البَيتِ، فإن لم تُقاتلونا فلاحاجَةَ لي بدمائِكُم، ودَخَلَ رسولُ إبراهة الى مكةَ، ثم سألَ عن سَيِّدِ قُريشٍ فَقيلَ له: - هو عبدُ المطَّلِبِ بنُ هاشم .

والتقى رسولُ إبرهةَ بعبدِ المطّلبِ، وبَلّغَهُ رِسالةَ إبرهةَ، فقالَ عبدُ المطّلبِ:

- واللهِ لانُريدُ حربَهُ، ومالنا بذلك من طاقَةٍ، وهذا بيتُ اللهِ الحَرامُ، وبيتُ خَليلهِ إبراهيمَ(١٤)، فإن يُدافِع عنه فهو بيتُهُ وإن يُخَلِّ بينَهُ وبين إبرَهَةَ فواللهِ ماأقدرُ على منعِهِ .

قال رسولُ إبرهةَ : - إنطلِق معي، فإنَّ الملكَ يُريدُ أن يَراكَ . ودخلَ عبدُ المطلبُ على إبرهة، فلمّا رآهُ إبرهَةُ أعظَمَهُ وأكرَمَهُ ونَزَلَ

(١٤) قال الله تعالى: (واتخذَ اللهُ إبراهيمَ خليلاً) سورة النساء-الآية١٢٥.

عن سَرِيرِه وجلَسَ مع عبدِ المطلبِ على بساطٍ واحدٍ !

وسأله إبراهةُ : ماحاجَتُكَ ؟

قالَ عبدُ المطلب : أن تَرُدَّ عليَّ إبِلي .

وعَجَبَ إبرهةُ !

كيفَ يسألُهُ أن يَرُدَّ عليهِ إبِلَهُ، ولايُكَلِّمهُ في أمرِ الكعبةِ وقد جاءَ لِهَدمِها !؟

قال إبرهةُ : أتكلمُني في مائتي بعيرٍ أصَبتُها لك، وتتركُ بيتاً هو دينُكَ ودينُ آبائك لاتكلمُني فيه !؟ .

قال عبدُ المطلبِ : انما أنا ربُّ الإبلِ(١٥)، وإنَّ للبيتِ رَبّاً سيمنعُهُ(١٦) .

قالَ إبرهَةُ : ماكانَ ليمتنِعَ مني، وأنا قادِرٌ على هدمِهِ، ولن تحجَّ العربُ بعدَ اليومِ إلاّ الى كنيستي (القُلَّيس) .

قالَ عبد المطلب : أنت وذاك .

---

(١٥) ربُّ الابل : مالكها .

(١٦) يمنعه : يحميه .

وردَّ إبرهةُ على عبد المطلب إبلَهُ، وعادَ عبدُ المطّلبِ الى مكةَ وأمرَ أهلها بالخروجِ الى الجبالِ المجاورَةِ حتى يقضي اللهُ في أمرِ إبرهةَ وجيشِهِ . وأمسَكَ عبدُ المطلبِ بباب الكعبَةِ ودَعَا اللهَ سُبحانَهُ وتَعالى أن يَهزِمَ جَيشَ إبراهةَ ويَحمي بيتَهُ العَتيقَ، وأنشَدَ :

لاهُمَّ إنّ العبدَ يمنَعُ رَحلَهُ فَامنَع رِحالَك

لايَغلِبَنَّ صَليبُهم ومحالُهم غدواً مِحالَك

إن كنتَ تارِكهم وقبلتنا فأمرٌ مابدا لَك(١٧)

وأمَرَ إبرهَةُ جيشَهُ بدخول مكةَ وهَدمِ كَعبتِها ، وجيءَ بالفيلِ ليَسيرَ أمامَ الجيشِ، فلمّا وجّهوهُ الى مكة بَركَ الى الأرضِ وأبى أن يتقدَّمَ، فضربوه فلَم ينهَض !

---

(١٨) لاهُمَّ : اللهُمَّ ، والعرب تخفف بعض الكلمات لكثرة ترددها على الألسن فتقول (لاهنكَ) : أي والله إنك، وتقول (أجنكَ): أي من أجل أنك ؛
الرحل : المال والمتاع .
المحال : القوة ، قال تعالى(وهو شَديدُ المِحال) سورة الرعد الآية ١٢ .
غَدواً: غداً .
لايغلبنّ صليبهم : وقد كان الأحباش نصارى من أهل الكتاب .
فأمرٌ مابدا لك: أي أن تركتهم يهدمون قبلتنا فهناك حكمة لك في ذلك لانعلمها

وأدخلوا في رأسه الحديدَ فلم ينهَض ! وأدخلوا عصاً في بطنه فلم ينهَض ! ووجّهوهُ الى جهَةِ بلادِ الشامِ فقامَ يُهَروِلُ راكضاً، وَوَجّهوهُ الى الشرقِ فهَروَلَ راكضاً ! وَوَجّهوهُ الى جِهَةِ اليَمنِ فهَروَلَ راكضاً، وعندما وجّهوهُ الى مكة برِكَ !!!

وبَينما هم كذلك في أمرِ الفيلِ أرسَلَ اللهُ سُبحانَهُ وتَعالى عليهم أسراباً من الطير تحملُ الحجارَةَ في أرجُلِها ومَناقيرِها، فألقَتها عليهم، فلَم تُصِب أحَداً منهم إلاّ هلكَ بعدَ أن يتساقط لحمُهُ عن عظمِهِ !!

وتساقط جنودُ إبرهَةَ في صحراءِ مكة وكأنهم أوراقُ الشجرِ الجافّة المُتَفَتّتَةِ، وهربَ من بقِيَ من الجيشِ فكانوا يتساقطونَ على الطريقِ واحداً بعد آخر .

وأصيبَ إبرهةُ بحَجَرٍ من تلك الحجارةِ، فعادوا به محمولاً الى اليمنِ ولحمُهُ يتساقط قطعةً قطعة، حتى إذا وصلَ صَنعاءَ مات !!
وفي ذلك العامِ -عامِ الفيلِ- كانَ ميلادُ الرسولِ الكريمِ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفيل

(ألم تَرَ كَيفَ فَعَلَ ربُّكَ بأصحابِ الفيلِ ● ألم يَجعَل كَيدَهُم في تَضليلٍ ● وأرسَلَ عَليهِم طَيراً أبابيلَ ● تَرميهِم بحِجارَةٍ من سِجيلٍ ● فَجَعَلَهُم كَعَصفٍ مَأكولٍ ●) .

صدق الله العظيم

ألم تَرَ : قد رأيت :

كَيدَهُم : مَكرَهُم

في تَضليلٍ : ضَلَّ مَكرُهُم فَلم يَبلُغ هَدَفَهُ وهُوَ هَدمُ الكَعبَةِ

أبابيل : أسراب ، جَماعات .

سِجيل : حَجَر ، أو طين .

كَعَصفٍ مَأكولٍ : مِثل وَرَقِ الشَّجَرِ الجافِّ الذي أكَلَتَ مِنهُ الحَشَراتُ ومَزَّقَتهُ .

الاسـئلة

السؤال الاول : لماذا بنى إبرهَةُ (القُلَّيسَ) ؟

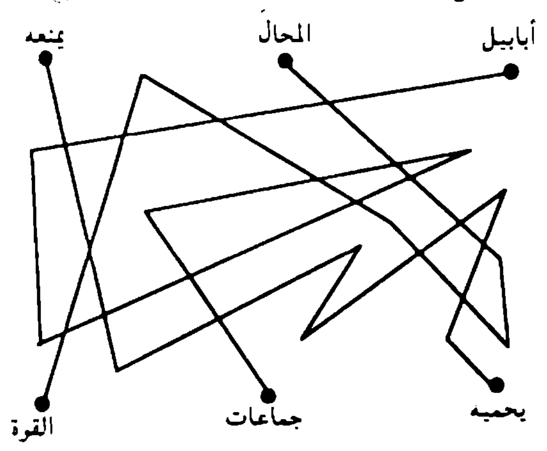
السؤال الثاني: في أية مدينة بناها ؟

السؤال الثالث : الرجلِ الذي صَحِبَ ابرهة من الطائف ليكونَ دليله الى مكة هو :

ذو نفر   أرياط   أبو رغال

السؤال الرابع : لماذا سُمِّيَ جيش إبرهة بـ(أصحاب الفيل) ؟

السؤال الخامس: وسطَ هذه المتاهة حاول أن تجد معاني الكلمات:



السؤال السادس: ماهو اهمّ حدثٍ في عامِ الفيلِ ؟



اقــرأ فيـهـا :

طبع بموافقة وزارة الاعلام ٧٨١ في ١٩٩٣/١٠/٥